

معرفة
بِالله

ALLAH
KNOWING
Knowingallah.com

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

نداءُ اللهِ تعالى للمؤمنينَ

النداء التاسع

الإنفاق من طيبات ما كسبت



علاء بن نايف الشحود

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

النداء التاسع

الإنفاق من طيبات ما كسبنا

قال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ
طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنْ
الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ
بِأَخْذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ
حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ
بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا
وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ } سورة البقرة



يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالْإِنْفَاقِ مِنْ أَطْيَبِ الْمَالِ وَأَجْوَدِهِ ، وَيَنْهَاهُمْ عَنِ التَّصَدُّقِ بِأَرْذَلِ الْمَالِ وَأَخْسَنِهِ . لِأَنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا . وَيَقُولُ لَهُمْ لَا تَقْضُوا الْمَالَ الْخَبِيثَ لِتُنْفِقُوا مِنْهُ ، وَهَذَا الْمَالَ الْخَبِيثُ لَوْ أَنَّهُ أُعْطِيَ إِلَيْكُمْ لَمَا أَخَذْتُمُوهُ ، إِلَّا عَنْ إِغْمَاضٍ وَحَيَاءٍ . وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنُونَ أَنَّ اللَّهَ وَإِنْ أَمَرَهُمْ بِالصَّدَقَاتِ فَإِنَّهُ غَنِيٌّ عَنْهُمْ وَعَنْ صَدَقَاتِهِمْ ، وَهُوَ إِنَّمَا يَحْتَثُهُمْ عَلَى التَّصَدُّقِ وَالْإِنْفَاقِ لِيَسَاوِيَ بَيْنَ الْغَنِيِّ وَالْفَقِيرِ ، وَاللَّهُ حَمِيدٌ فِي جَمِيعِ أَفْعَالِهِ وَأَقْوَالِهِ وَشَرَعِهِ وَقَدْرِهِ (وَيُرْوَى أَنَّ السَّبَبَ فِي نَزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ هُوَ أَنَّ بَعْضَ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا يَأْتُونَ بِصَدَقَاتِهِمْ مِنْ رَدِيءِ التَّمْرِ) .

الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ الْمُتَصَدِّقِينَ مِنْكُمْ مِنَ الْفَقْرِ ، لِتَمْسِكُوا مَا بِأَيْدِيكُمْ ، وَلَا تُنْفِقُوهُ فِي سَبِيلِ مَرْضَاةِ اللَّهِ ، وَيَأْمُرُكُمْ بِارْتِكَابِ الْمَعَاصِي وَالْمَآثِمِ ، وَمُخَالَفَةِ الْأَخْلَاقِ ، وَاللَّهُ يَعِدُّكُمْ بِالْخَيْرِ وَالْمَغْفِرَةِ وَالرُّزْقِ ، عَلَى لِسَانِ نَبِيِّكُمْ ، وَبِمَا أَوْدَعَهُ اللَّهُ فِي الْفِطْرِ السَّلِيمَةِ مِنْ حُبِّ الْخَيْرِ .

وَاللَّهُ وَاسِعُ الرُّزْقِ وَالْعَطَاءِ وَالْمَغْفِرَةِ . عَلَيْهِمُ بِأَحْوَالِكُمْ وَمَا فِيهِ خَيْرُكُمْ .

إن الأسس التي تكشفت النصوص السابقة عن أن الصدقة تقوم عليها وتتبعث منها لتقتضي أن يكون الجود بأفضل





الموجود؛ فلا تكون بالدون والرديء الذي يعافه صاحبه؛ ولو قدم إليه مثله في صفقة ما قبله إلا أن ينقص من قيمته. فالله أغنى عن تقبل الرديء الخبيث!

وهو نداء عام للذين آمنوا - في كل وقت وفي كل جيل - يشمل جميع الأموال التي تصل إلى أيديهم . تشمل ما كسبته أيديهم من حلال طيب ، وما أخرج الله لهم من الأرض من زرع وغير زرع مما يخرج من الأرض ويشمل المعادن والبتروال . ومن ثم يستوعب النص جميع أنواع المال ، ما كان معهوداً على عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - وما يستجد . فالنص شامل جامع لا يفلت منه مال مستحدث في أي زمان .

وكله مما يوجب النص فيه الزكاة . أما المقادير فقد بينتها السنة في أنواع الأموال التي كانت معروفة حينذاك . وعليها يقاس وبها يلحق ما يجد من أنواع الأموال .

وقد وردت الروايات بسبب لنزول هذه الآية ابتداء ، لا بأس من ذكره ، لاستحضار حقيقة الحياة التي كان القرآن يواجهها؛ وحقيقة الجهد الذي بذله لتهديب النفوس ورفعها إلى مستواه . .

روى ابن جرير - بإسناده - عن البراء بن عازب - رضي الله عنه - قال : « نزلت في الأنصار . كانت الأنصار إذا كانت أيام جذاذ النخل أخرجت من حيطانها البسر فعلقوه على جبل بين الأسطوانتين في مسجد رسول الله - صلى الله عليه



وسلم - فيأكل فقراء المهاجرين منه . فيعمد الرجل منهم إلى الحشف فيدخله مع قناء البسر ، يظن أن ذلك جائز . فأنزل الله فيمن فعل ذلك : { ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون } ..

وكذلك رواه الحاكم عن البراء وقال : صحيح على شرط البخاري ومسلم ولم يخرجاه .

ورواه ابن أبي حاتم - بإسناده عن طريق آخر - عن البراء رضي الله عنه - قال : نزلت فينا . كنا أصحاب نخل ، فكان الرجل يأتي من نخله بقدر كثرته وقلته ، فيأتي رجل بالقنو ، فيعلقه في المسجد . وكان أهل الصفة ليس لهم طعام . فكان أحدهم إذا جاع جاء فضرب بعصاه ، فسقط منه البسر والتمر فيأكل ، وكان أناس ممن لا يرغبون في الخير يأتي بالقنو الحشف والشيص ، فيأتي بالقنو قد انكسر فيعلقه ، فنزلت : { ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بأخذيه إلا أن تغمضوا فيه } . قال : لو أن أحدكم أهدي له مثل ما أعطى ما أخذه إلا على إغماض وحياء . فكنا بعد ذلك يجيء الرجل منا بصالح ما عنده .

والروایتان قريبتان . وكلتاها تشير إلى حالة واقعة في المدينة؛ وترينا صفحة تقابل الصفحة الأخرى التي خطها الأنصار في تاريخ البذل السمح والعطاء الفياض . وترينا أن الجماعة الواحدة تكون فيها النماذج العجيبة السامقة ، والنماذج الأخرى التي تحتاج إلى تربية وتهذيب وتوجيه لتنتج إلى الكمال! كما احتاج بعض الأنصار إلى النهي عن





القصد إلى الرديء من أموالهم ، الذي لا يقبلونه عادة في هدية إلا حياء من رده ولا في صفقة إلا باغماض فيه أي : نقص في القيمة بينما كانوا يقدمونه هم لله! ومن ثم جاء هذا التعقيب : { **واعلموا أن الله غني حميد** } .

غني عن عطاء الناس إطلاقاً . فإذا بذلوه فإنما يبذلونه لأنفسهم فليبذلوه طيباً ، وليبذلوه طيبة به نفوسهم كذلك .

حميد .. يتقبل الطيبات ويحمدها ويجزي عليها بالحسن ..

ولكل صفة من الصفتين في هذا الموضع إحياء يهز القلوب . كما هز قلوب ذلك الفريق من الأنصار فعلاً . { **يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم** ... } .. وإلا فالله غني عن الخبيث الذي تقصدون إليه فتخرجون منه صدقاتكم! بينما هو - سبحانه - يحمد لكم الطيب حين تجرحونه ويجزيكم عليه جزاء الراضي الشاكر .

وهو الله الرازق الوهاب . . يجزيكم عليه جزاء الحمد وهو الذي أعطاكم إياه من قبل! أي إحياء! وأي إغراء! وأي تربية للقلوب بهذا الأسلوب العجيب!

ولما كان الكف عن الإنفاق ، أو التقدم بالرديء الخبيث ، إنما



ينشأ عن دوافع السوء ، وعن تززع اليقين فيما عند الله ،
وعن الخوف من الإملاق الذي لا يساور نفساً تتصل بالله ،
وتعتمد عليه ، وتدرك أن مرد ما عندها إليه .. كشف الله
للذين آمنوا عن هذه الدوافع لتبدو لهم عارية ، وليعرفوا
من أين تثبت النفوس؛ وما الذي يثيرها في القلوب .. إنه
الشیطان ..

{ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء ، والله
يعدكم مغفرة منه وفضلاً ، والله واسع عليم . يؤتي
الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً ،
وما يذكر إلا أولو الألباب } ..

الشیطان يخوفكم الفقر ، فيثير في نفوسكم الحرص
والشح والتكالب . والشيطان يأمركم بالفحشاء -
والفحشاء كل معصية تفحش أي تتجاوز الحد ، وإن كانت
قد غلبت على نوع معين من المعاصي ولكنها شاملة .
وخوف الفقر كان يدعو القوم في جاهليتهم لوأد البنات
وهو فاحشة؛ والحرص على جمع الثروة كان يؤدي
ببعضهم إلى أكل الربا وهو فاحشة .. على أن خوف الفقر
بسبب الإنفاق في سبيل الله في ذاته فاحشة ..

وحين يعدكم الشيطان الفقر ويأمركم بالفحشاء يعدكم
الله المغفرة والعطاء : { والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً }





ويقدم المغفرة ، ويؤخر الفضل . . فالفضل زيادة فوق
المغفرة . وهو يشمل كذلك عطاء الرزق في هذه الأرض ،
جزاء البذل في سبيل الله والإنفاق .
{ **والله واسع عليم** } ..

يعطي عن سعة ، ويعلم ما يوسوس في الصدور ، وما
يهجس في الضمير





يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
نداءُ اللهِ تعالى للمؤمنينَ

النداء التاسع

علي بن نايف الشحود